

الأفعال الإنجازية غير المباشرة المجازية - خطاب البشير الإبراهيمي أنموذجاً.
*The metaphorical, indirect actions of al-Bashir's Brahimi
speech as a model.*

د. بن عياد فتيحة.

قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)
fatihabenayed@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2020/06/04

تاريخ الإيداع: 2019/11/11

ملخص:

إن الأفعال الكلامية غير المباشرة هي تلك الأفعال ذات المعاني الضمنية التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخل في تحديدها والتوجيه إليها، يعبر بها المرسل عن قصده بما يغير معنى الخطاب الحرفي (المباشر) إذ يتجاوزه ويعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ، فتكون بذلك غير مباشرة يحقق بها المتكلم غرضه الإنجازي، وقد تكون في حالات مثل التشبيه، الاستعارة والكناية ومن هنا يتدرج الخطاب من المعاني الحقيقية إلى المعاني المجازية، وهي الخطوة المكتملة التي خطاها "جون سيرل John Searle" بعد أستاذه "جون أوستين John Austin"، والتي سنقف عندها بالدرس والتمحيص من خلال تطبيقها على مدونة عيون البصائر "للشاعر الإبراهيمي".

الكلمات المفتاحية: الفعل الكلامي غير المباشر، المجاز، التشبيه، الاستعارة، الكناية، الغرض الإنجازي.

ABSTRACT: Indirect verbal acts are those acts with tacit meanings that are not necessarily indicated by the wording of the sentence, but the context has an income in identifying and directing them. Thus, the speech ranges from real meanings to metaphorical meanings, a complementary step taken by John Searle John after his teacher John Austin.

Lesson and scrutiny through Tt It is on Eyes of Insights blog "Bashir I Brahimi".

Keywords Indirect verbal action, metaphor, metaphor, metaphor, metonymy, achievement purpose

توطئة:

يسعى هذا النوع من الأفعال الإنجازية غير المباشرة إلى بناء واقع معين عن طريق التمثيل القائم على مجموعة من العناصر المجازية منها: التشبيه والاستعارة والكناية والتورية وغيرها. والاستدلال بواسطة التمثيل المجازي يعني: «تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقية عن طريق تشابه في العلاقات، فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي

تربطه بأمر آخر»¹، فالاستدلال بالتمثيل المجازي يهدف إلى بَيِّنَة وقائع معينة الهدف منها هو إقناع المتلقي بقضايا استدلالية أو برهانية.

1. الأفعال الكلامية غير المباشرة بين الطرح البلاغي والتحليل التداولي.

تطرق الدارسون اللغويون القدامى بعامة و البلاغيون بخاصة إلى ظاهرة التمثيل المجازي وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)، في فصل (في مواقع التمثيل وتأثيره)، إذ يقول: «واعلم أن مما اتَّفَق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أمهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبَّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبايةً وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطى محبةً وشغفاً»². ثم يسترسل في الحديث عن التمثيل حتى يصل إلى دوره في الإقناع؛ أي إذا توافر في الخطاب «كان برهانه أنور وسلطانه أقر، وبيانه أهر»³. فقد وضح الجرجاني في كلامه هذا دور التمثيل في تحقيق الفاعلية الإقناعية لدن المتلقي، وأقر أن التمثيل كلما تخلَّل الخطاب كلما كان استدلاله أشدَّ وأقوى وإقناعه أعم.

ومن ثمة فإن تحقيق التمثيل المفضي إلى الإقناع يرتبط أساساً بوجود مقوماته التي يقوم عليها في السعي لبَيِّنَة الواقع في أي خطاب لغوي، وهي التشبيه والاستعارة والكناية والتورية وغيرها من الركائز البلاغية باعتبارها أصولاً ضرورية لمحاسن الكلام، لأنها الأساس في البناء البلاغي للنص الأدبي الذي يبحث عن الجودة، كما أنها «أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها وأقطار تحيط بها في كل جهاتها»⁴. باعتبارها عبارات بيانية تتضمن أفعالاً إنجازية أو غير مباشرة، ذلك أن المتكلم يختار من أساليب البيان ما يتناسب مع قصده، بسبب قصور الحقيقة عن إفهام المراد؛ إفهاماً يناسب المقام فتمس الحاجة إلى استعمال الألفاظ في غير معانيها الوضعية⁵، أي يلجأ المتكلم إلى التلميح بدلا من التصريح، فعلم البيان كما عرفه السكاكي (ت 626هـ) هو «معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»⁶. وسنتطرق إلى كل واحدة من آليات التمثيل بشيء من التفصيل والتطبيق.

وقبل الحديث عنها مفصلةً يمكن تلخيص مبادئ "سيرل" الخاصة بتأويل هذا النوع

من الأفعال غير المباشرة من خلال عرض ما يلي:

رأى "سيرل Searle" أنّ العبارة البيانية تميّزها سمتان أساسيتان هما:

1. أنّها مقيدة بمعنى أنّ هناك عملية يسمح أمرها بواسطتها باستدعاء أمر آخر.

2. أتمها نسقية بمعنى أنّها يجب أن تكون قابلة للتبليغ من المتكلم إلى المتلقي استناداً إلى نسق من المبادئ العامة المشتركة.⁷

كما رأى أنّ المتلقي يمرّ عند تأويله للعبارات البيانية البسيطة بثلاث مراحل هي:
أ. يجب أن تتوافر لديه مبادئ تسمح له بأن يقرر ما إذا كان عليه أن يبحث عن تأويل مجازي (استعاري) للفظ.

ب. يجب عليه -بعد ذلك- أن تتوافر لديه مبادئ تعينه على حساب القيم الممكنة لمعنى المتكلم.

ج. يجب أن تتوافر لديه مجموعة من المبادئ التي تمكنه من تحديد مجال معاني المتكلم كي يحدد المعاني التي يقصدها المتكلم حسب احتمالات الجملة.

فإذا قال المتكلم مثلاً: زيدٌ خنزيرٌ. فإنّ المتلقي سيعرف أنّ هذا الملفوظ لا يمكن أن يكون صادقاً في صورته اللفظية الحرفية المباشرة، وأنّه إذا تلقّاه حرفياً فسيكون مختلاً ظاهرياً. وهذا الاختلال خاصة مشتركة بين جل المنطوقات والعبارات البيانية.

أما بالنسبة للشيخ البشير الإبراهيمي فقد وُظف صوراً بيانيةً متعددةً بهدف تحقيق أغراض إنجازية بصورة غير مباشرة وهو ما اتخذته مدونة تطبيقية، فالتصوير عنده سمة بارزة في آثاره تنبئ عن قوة مخيلته وسحر اللغة على لسانه، وقد تحقق ذلك في قوالب بلاغية متعددة منها التشبيه والاستعارة والكناية وكلها قوالب تحمل معها الأصالة والإبداع والإيجاد، فترد أحياناً مثقلة بالواقع والجدية، خاصة عندما يقف عند القضايا الحساسة المتعلقة بالاستعمار والدين واللغة، وأحياناً يرتقي التصوير سلم الخيال المحض فيرد لغاية الجمال.

وسنورد فيما يأتي من الدراسة نماذج لمختلف القوالب البيانية التي ضمّنها الإبراهيمي تصويره الفكري، بما تقتضيه طبيعة البحث مركزين على دوره في إيصال المعنى وتشخيص الصورة لدى المتلقي متمثلة في أقوال كلامية غير مباشرة دون التعمق في التقسيمات والتفريعات البلاغية.

2. الفعل الكلامي غير المباشر القائم على التشبيه:

يتمحور معنى التشبيه في اللغة حول التمثيل⁸. وهو من المقومات المجازية الأكثر استعمالاً في الخطابات اللغوية، وأقرب إلى خيال الإنسان، وأدنى إلى إدراكه وتصوره وهو من أكثر صور البيان تداولاً وتوظيفاً⁹، كما يعد الاستدلال بالتشبيه هو طريقة «إثبات الشيء بأخر، وهو ما يأخذ ظاهر الاستدلال، دون أن يحمل دائماً المعاني الدقيقة للكلمة في المنطق الطبيعي أو الرياضي»¹⁰. فالتشبيه إذن يسعى إلى بناء الواقع عن طريق الربط بين القضايا المتباينات في

الجنس، فهو يستعمل للمقارنة بين الأشياء وأشباهها، وأركان التشبيه هي: «المشبه، المشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه»¹¹.

يعد التشبيه من المنظور التداولي آلية من الآليات اللغوية التي يستخدمها المرسل للتلميح إلى قصده، إذ يتسنى من خلالها انتقال الكلام من ظاهره إلى معانيه المستلزمة، شريطة ألا يصح بوجه الشبه، وإلا فإن التلميح ينتفي، ويصبح معنى الجملة مطابقاً للمقصود¹²، فلو قلنا: (أحمد كالأسد) فقد استخدمنا التشبيه لإنجاز فعل إنجازي غير مباشر يدل على مدح أحمد من خلال تشبيهه شجاعته بشجاعة الأسد.

والتصوير بالتشبيه من الوسائل البلاغية التي استعان بها الأدباء في رسم الصورة الفنية لمحو الغموض وكشف الخفي وإجلاء المعاني وإنارة العمل الأدبي، وإبراز الغامض بالظاهر الشبيه له من الواقع الحسي¹³. ومن ثمة فهو ذو بعد تفاعلي تداولي.

يعد البشير الإبراهيمي من أبرز الأدباء الذين استوعبوا قيمة التشبيه في تقريب الرؤية الفكرية للمتلقي، فما كادت تخلو من نصوصه وخاصة وأنه مصحح يهدف إلى إيصال الحقائق للقارئ بشتى الطرق، لذلك أشاع قلمه ولسانه التصوير بالتشبيه في فنون نثره الأدبي لإيضاح معانيه وإضفاء قوة إنجازية تعبيرية في كتاباته الإصلاحية التي لها تأثيرها الخاص على مشاعر وعواطف المتلقي.

وقد وُظِفَ التشبيه بشكل لافت في "عيون البصائر" لما له من أثر في تحريك المشاعر والنفوس، ودفع لإمعان العقل والتدبر. بأنواعه وأغراضه المتعددة، إذ استخدمه "البشير الإبراهيمي" للتعبير عن أفعال إنجازية غير مباشرة، منها استعماله في قوله: «جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن، كما تجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت وأسباب الموت»¹⁴، إنّه تصويرٌ بارعٌ يجسّد «عبقريّة النص في خطاب الإبراهيمي من خلال الإبداع البياني»¹⁵، فقد شبه "الإبراهيمي" الاستعمار بالمرض الدّخيل الوارد، الذي يحمل فيروسات قاتلة تؤدي بحياة الأشخاص إلى الممات، فحقق بذلك فعلاً كلامياً غير مباشر، عوض أن يصفه بصفة مباشرة وهي قتل الجزائريين، وهو تشبيه مفصل يحتوي على كل أركانه من مشبه (الاستعمار)، ومشبه به (المرض)، أداة التشبيه (الكاف)، ووجه الشبه (القتل أو الموت). الغرض الإنجازي منه هو ذم الاستعمار وتبيان مساوئه، إضافة إلى الدعوة إلى الحذر منه، ومن نتائجها الوخيمة والسلبية على الأمة الجزائرية التي لا يرجى من ورائها إلا الفتك والدمار.

ويبقى الفعل الكلامي القائم على التشبيه من أكثر العبارات البيانية تداولاً ووروداً في مجمل الخطابات اللغوية بعامة وفي عيون البصائر بخاصة، حيث بلغ استخدام التشبيه عند الإبراهيمي مبلغه من التصوير الفني البليغ، فأجاد فيه إلى حد البراعة خدمةً لبيانه الساحر،

وتطويعاً للغته القوية، واستعماله ينبي بقوته الإنجازية في تحقيق التأثير في المتلقي واستمالاته أو تغيير مواقفه العاطفية.

3. الفعل الكلامي غير المباشر القائم على الاستعارة:

إذا كانت دلالة الاستعارة في اللغة تدور حول رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر. فإنها تنبؤاً مكانة بالغة الأهمية في حقل الدراسات البلاغية وكذا اللسانية التداولية. اهتم علماء البلاغة بعامة والبيان بخاصة بالاستعارة كمقوم من مقومات علم البيان، ومن الذين اهتموا بذلك درساً وتنظيراً الإمام "عبد القاهر الجرجاني" (ت 471 هـ)، الذي حدّاه بقوله: «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية»¹⁶. فالجرجاني أشار إلى انبناء الاستعارة على مفهوم النقل المجازي باعتبار وجود القرينة المشتركة بين المستعار منه والمستعار له سواء كانت لفظية أو معنوية، لكنه نقل يعتمد على الشبه، مما يجعله يختلف عن سائر أنواع المجاز.

أما في حقل الدراسات اللسانية التداولية فإن الاستعارة تضطلع بدور إقناعي قائم على قوتها الإنجازية التي تحملها والقوة المتضمنة فيها، ويرجع الفضل في إخراج الاستعارة من حقل البلاغة التقليدية التي اهتمت بها درساً وتمحيصاً، إلى "بيرلمان Perelman" الذي أكسبها طاقةً حجاجيةً في مجال الدراسات المتعلقة بالبلاغة الجديدة، إذ «طهر البلاغة الحجاجية من البلاغة المحسناتية...ولهذا فقد احتلت الاستعارة مكاناً إلى جانب التشبيه أو المقارنة ضمن الجنس الثالث من أجناس المقومات الحجاجية. هذه واحدة من إضافات بيرلمان: إبطال مفعول بلاغة المحسنات وإدراج الاستعارة والتشبيه ضمن بلاغة الحجاج»¹⁷. فالباحث يعتبر المقارنة والتشبيه والاستعارة حُججاً تسهم في بلاغة الخطاب، وتهدف إلى إقناع المتلقي بما يعرض عليه من أطروحات، كما تشخص أكثر الالتباس القائم بين التشبيه والاستعارة، كما أن دراسة الاستعارة من منظور تداولي يثري هذه الدراسة بما يقدم من أبعاد تتجاوز حدود النظرة الضيقة التي تكتفي بالتركيز على العلاقة بين المستعار والمستعار له، بل تبحث في كيفية تحقق عملية الفهم والتأويل، بوصف الاستعارة وسيلة لغوية تواصلية.

أما في إطار نظرية الأفعال الكلامية فهي تضطلع بدور إنجازي، كما تجسد مثلاً جوهرياً لاستعمال اللغة الأمر الذي أكدّه علي محمود حجي الصراف في قوله: «إذ يدرك بها عادة معنى مقصوداً يقع وراء البنية المنجزة الحرفية للملفوظ، وهو المعنى الأساسي غير المباشر الذي سعى المتكلم لإيصاله، ومن ثم تكون الاستعارة وسيلة رئيسة ومهمة من الوسائل المستخدمة في إنجاز الأفعال غير المباشرة»¹⁸، حيث تأتي فكرة التمييز بين المعنى الحرفي والمعنى التداولي، بمثابة

الفكرة الأم، التي تجمع بين القضايا المثارة في دراسة الاستعارة وفق رؤية تداولية، ومن هنا جاءت معالجة "سيرل Searle" للاستعارة من خلال عرضه للمميّز التداولي بين المعنى النحوي للجملة والمعنى التداولي، الذي يتخذ قصد المتكلم أساساً له¹⁹. فهي تعبّر بطريقة ملتوية وغير مباشرة، بغرض الحفاظ على جمال النص، وعمق الفكرة، حيث تتطلب في ذلك خيالاً واسعاً قوياً يجمع بين السياق وما يحيط به من عوامل طبيعية وثقافية واجتماعية وغيرها من الروابط المتنوعة، ومن جهة أخرى تفادي التّفوه بكلمات تنافي القيم الاجتماعية، فالاستعارة قادرة على تغيير مشاعر المتلقي ونظرته تجاه حقيقة ما، فتوصله إلى رؤية خبايا كانت مخفية عن أنظاره، فتتجلى وتتضح في عينه، فيما يعجب بما كان شنيعاً في عينه، أو يمل مما كان جميلاً أمامه، وهنا تنتقل من الطرح التقليدي الذي يعتبرها من صور البيان إلى التصور النظرية للفعل الكلامي القائم على الإنجاز.

وقد وردت أمثلة متعددة عن الاستعارة بجميع أنواعها وتنوع أغراضها في "عيون البصائر"، ذلك أن البشير الإبراهيمي عني بالتصوير الاستعاري البليغ في مختلف صورته عنايةً كبيرة، عبّر به عن أفعالٍ إنجازيةٍ غير مباشرة، منها:

ما ورد في حديثه عن واقع الانتخابات في الجزائر على زمانه، يقول: «فإنّ الديمقراطية عند الأمم التي تنحلها وتزعمها لنفسها - تتجلى في عدّة مجالات أرفعها الانتخاب... أما في الجزائر فالانتخابات - منذ سنّت لعبة لالعاب، وسخرية ساخر، ورهينة استبداد، ولدت شوهاء ناقصة، وما زالت متراجعة ناكصة... وسنّت للانتخابات الجزائرية دستوراً عنوانه "الحيف والسيف"²⁰. إذ شبّه الكاتب الانتخابات بالمولود الناقص وغير المكتمل عند الولادة؛ حيث حذف المشبّه به وأبقى على لازمة دالة عليه وهي الفعل (ولدت) وهي استعارة مكنية، وظّفها الكاتب للتعبير عن معانٍ كثيرة بألفاظ قليلة وبصورة غير مباشرة، ففي قوله: «ولدت شوهاء ناقصة»، عبارة قصيرة تتضمن قوة إنجازية تتمثل في الكثير من المعاني الخفية على المتلقي من بينها:

- التنظيم العشوائي دون سابق إنذار كالولادة الطبيعية التي تأتي فجأة في قوله: (ولدت).
- المفارقة التي تحملها مناسبة الاستحقاق الانتخابي، فعوض أن تكون فرصة سعيدة للتغيير، نجدها مناسبة لتكريس النظام السائد في قوله: (ولدت شوهاء).
- التزوير الذي لا يمثّل رغبة الشعب الحقيقية، فالنوّاب الممثلون للشعب مزيفون في قوله: (شوهاء).
- نتائج الانتخاب هي برلمان أو هيئة سياسية فارغة، لا فائدة منها بسبب عجزها وفقدانها الصلاحيات في قوله: (ناقصة).

فقد حقق الكاتب غرضه الإنجازي غير المباشر المتمثل في الكشف عن معنى الانتخاب في الجزائر والتي عنوانها الحيف والسيف في ظل الديمقراطية، والذي يختلف عن معناه عند الأمم الأخرى، فهي تتجلى في أرفع اختيار الشعب، وبالتالي لا ديمقراطية في الجزائر.

4. الفعل الكلامي غير المباشر القائم على الكناية:

أصل الكناية في اللغة «أن تتكلم عن شيء وتريد غيره»²¹. وفي الاصطلاح عرفها السكاكي (ت626هـ) بقوله: «الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كقولك: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة...وسي هذا النوع كناية، لما فيه من إخفاء وجه التصريح»²²؛ أي هي تعبير لا يقصد منه المعنى الحقيقي، وإنما يقصد به معنى ملازم للمعنى الحقيقي، «فهي تعبر عن معنى ما بصورة غير مباشرة؛ مما رشحها لتكون إحدى الوسائل الفعالة لإنجاز الأفعال غير المباشرة، فالجانب غير الصريح وغير المباشر سمة مشتركة بين الطرفين الكناية والأفعال غير المباشرة، فالكناية أسلوب يعتمد على الكاتب للتعبير عما يختلج في صدره، ولا يرغب في البوح به، وذلك باللجوء إلى صور «تومئ إلى المعنى وتشير إليه دون أن تفصح عنه، فهي تجعل من المعنى المراد مختفياً وراء صورة المعنى الظاهر، فتتخذ بذلك شكر التعبير بالصورة»²³، وبالتالي فهي «لا تعبر تعبيراً تقريرياً مباشراً وإنما تلجأ إلى الأسلوب الأوفر تأثيراً والأعمق دلالة»²⁴، والمتمثل في الأسلوب غير المباشر، ومن هنا يمكن إدراك الطبيعة الإيحائية للكناية، فهي انحراف عن إفادة المعنى المراد مباشرة، إلى إفادته عن طريق لازم من لوازمه، ويكون على المتلقي أن يقوم بحركة عكسية ينتقل خلالها من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم²⁵.

يتضح من خلال تعريف الكناية أنها تستخدم للتعبير عن أفعال إنجازية غير مباشرة لما تحمله من تأثير بليغ على نفسية المتلقي في التمثيل، أما نماذجها التي وردت في "عيون البصائر" فهي كثيرة، فاستخدام أسلوب الكناية في العمل الأدبي دليل على فطنة وثقافة الكاتب الواسعة، وتنشيط لذهن القارئ لاكتشاف الخفي من المعنى ضمن الكناية، وقد وظفها "البشير الإبراهيمي" للتعبير عن معاني عديدة غير صريحة في طبقات مقامية متعددة، نذكر منها: حديثه عن المقومات التي تبني بها الأمة ولا تتحقق قوميتها إلا بها، وأن المطالبة بالحقوق في ظل غياب هذه المقومات لا جدوى منه، وأقسم على ذلك، حيث قال: «ولعمري إذا لم توجد الأمة فما صباح الصائحين إلا نفع في رماد»²⁶، وهي كناية عن صفة، فعدم اشتعال النار كان سببه غياب الجمر التي تؤدي إلى ذلك، تحمل قوة إنجازية متمثلة في عدم جدوى المطالبة بحقوق الأمة في غياب مقومات بنائها، حقق بها غرض إنجازي متمثل في توبيخ الأمة الجزائرية على إضاعتها لأرضها، ونسيانها لتاريخها، وهي مقومات إذا تواجدت في شعب من الشعوب كانت

له بمثابة الدعامة الأساسية للنضال الحقيقي. «وفي التوبيخ لا بد أن يكون المتلقي قد قام بفعل ما قبل زمان تكلم المتكلم»²⁷، وهو غرض إنجازي لا يمكن أن يؤدّيه اللفظ الصريح.

5. الفعل الكلامي غير المباشر القائم على التورية:

التورية في اللغة من ورى الخبر تورية، أي أرادته فأخفاه وستره، وأظهر غيره. ومنه الحديث "كان إذا أراد سفرا ورى بغيره". بمعنى أنه كنى عنه موهما إرادة غيره²⁸، فهي بذلك تعني الستر والإخفاء.

أما في الاصطلاح فتعني التورية «ذكر كلمة مفردة بمعنيين أحدهما ظاهر وغير مراد، والثاني موري ومراد»²⁹؛ إذن فالتورية تتركب من كلمة تحتل معنيين: الأول قريب ظاهر ولا يقصده المتكلم، والثاني بعيد خفي وهو الذي يقصده المتكلم، وهذا الأخير تداولي لأن استنباطه خاص بالسامع؛ إذ هو المطالب بفهمه. والفهم بداية الحوار يقول "مikhail باختين Bakhtin": «وإن يكن مع الذات الفاهمة، ولا يكتمل الفهم إلا في السياق الذي أدى إلى التلقظ بالعبارة أو الجملة التي تتضمن التورية. والسيّاق أنواع ثلاثة: السياق اللفظي التركيبي، والسيّاق غير اللفظي الظرفي، والسيّاق الحيّاتي العام، وللتكلم باللغة الحياتية ظاهر وباطن، باد ومتوار»³⁰. ومن ثمة فالتورية أسلوب يُعبّر به عن المعنى الضمني أي غير المباشر.

تتبدى التورية في مواطن عدة من خطابات "البشير الإبراهيمي" اللغوية للتعبير عن الأفعال الإنجازية غير المباشرة، نذكر منها:

ما ورد في مدحه للشعب الجزائري العربي المسلم بذكر أعماله للمحافظة على وطنه وفضائله في تشييد حضارته وتسجيل تاريخه، يقول: «وشاد الحضارة، ووضّح معالم التشريع، وحدا بركب الإنسانية حيناً فأطرب»³¹، فالتورية هنا في لفظة "أطرب" تحمل فعلين كلاميين: أحدهما أمتع وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن أوّل وهلة، والمعنى الثاني اهتزّ وأخفّ وهو الفعل الكلامي غير المباشر الذي يمثل المعنى البعيد الذي أرادته الكاتب لكنّه ورّاه وستره ولمّح له بالمعنى القريب، حقق الكاتب بذلك غرضاً إنجازياً بصفة غير مباشرة وهو تعظيم الأمة الجزائرية، حيث يكمن وجه عظمتها في عراقية حضارته العامل الذي يؤجّج في كل حين أعداء الأمة العاملين على تأثيرها وقتل أسباب الحياة فيها.

وفي مقام آخر نجد "البشير الإبراهيمي" قد وظّف التورية ويتجلى ذلك في حديثه عن واقع النوادي التي يتلقى فيها الشّباب دعوة الدّين والعلم، حيث قال: «... ذلك القرار الغريب الذي يمنع بيع المشروبات المباحة في النوادي، ونتيجته هي إفقار النوادي من روادها»³²، فالتورية في لفظة "إفقار" لها فعلاّن كلاميان، أحدهما أنّها مأخوذة من الفقر وهو

الحاجة وعدم القدرة على تحقيق الحد الأدنى من مستوى المعيشة، وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن أول وهلة، وسبب تبادره إلى الذهن التمهيد له بقوله "يمنع بيع"، والثاني أنها مأخوذة من القضاء، أي القضاء على رواد النوادي، وهي القوة الإنجازية التي تنبئ عن المعنى البعيد الذي أرادته الكاتب لكونه تلطف ووراه ولمح إليه بالمعنى القريب، رغبة منه في تحقيق غرضه الإنجازي غير المباشر المتمثل في التحسر على الوضع الذي آلت إليه مراكز اقتناء الدين والعلم في الجزائر.

6. خاتمة:

وبعد هذه الدراسة العلمية خلصت إلى جملة من النتائج أهمها:

1. تكون الأفعال الكلامية غير المباشرة في الخطاب اللغوي ضمنية وخفية، على شكل قوة إنجازية تكمن داخل بنيته. وتسعى إلى إقحام عالم المتلقي وإرغامه على إمعان عقله، في فهم ما خفي من أسرار في هذا الخطاب، وهو ما يجعل الفعل الكلامي يتجاوز منطق التفسير إلى التأويل المفتوح على تعدد الاحتمالات والقراءات؛ فما يكون خفياً على مستوى الخطاب يكون أبلغ مما يكون صريحاً يمنح للمتلقي جاهزاً دون إمعان عقله وتفكيره.

3. تربط التداولية بالبلاغة علاقة تكاملية لأنهما يلتقيان في كثير من المفاهيم المركزية، كالعدول عن مقتضى الظاهر في الخطاب إلى معاني أخرى ضمنية تستفاد من السياق والظروف المحيطة بالموقف الكلامي، ويعالج كل منهما قوة التأثير في الأخير وكيفية إقناعه وبيان المقاصد التي يهدف المخاطب إلى تحقيقها.

4. يعد التشبيه من أكثر صور البيان تداولاً وتوظيفاً، استخدمه "البشير الإبراهيمي" لتحقيق أفعال إنجازية غير مباشرة تدل على عدة أغراض منها المدح، الوعد، الوعيد، الذم... إذ لا يمكن تحقيقها بتعبير مباشر.

5. كما تضطلع الاستعارة في حقل اللسانيات التداولية بدور إقناعي قائم على قوتها الإنجازية التي تحملها والقوة المتضمنة فيها، أما في إطار نظرية الأفعال الكلامية فهي تضطلع بدور إنجازي باعتبارها وسيلة رئيسة ومهمة من الوسائل المستخدمة في إنجاز الأفعال الكلامية غير المباشرة.

6. أما الكناية باعتبارها ترك التصريح بذكر الشيء ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك؛ أي التعبير عن معنى ما بصورة غير مباشرة، فقد استخدمها "البشير الإبراهيمي" لهذا الغرض في طبقات مقامية متعددة.

7. كما استعمل "البشير الإبراهيمي" أنواعاً من البديع منها التورية التي كان الهدف منها إخفاء معنى بعيد يريده في ظل معنى قريب يصحح به مما يزيّن العبارة ويثرها بالإيقاع للتأثير في ذهن المتلقي.

وفي الأخير نقول إنّ: "الشيخ الإبراهيمي" قد حقق غرضه الإنجازي والمتمثل في الإقناع؛ وذلك من خلال تلفظه بهذه الخطابات كأقوال كلامية بصورة غير مباشرة، كما أنها لا تظهر القدرات العادية في ضوء المنهج الوظيفي التداولي في دراسة اللغة.

الهوامش

1. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، تونس، ط1، 2008، ص225.
2. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مطبعة المدني القاهرة، ط1، 1991، ص88.
3. المرجع نفسه، ص88.
4. المرجع نفسه، ص27.
5. محمد هشام وسعيد نجار، نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص63.
6. السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم الزرزور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص249.
7. علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية - الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2010، ص1، 145، 148.
8. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير وزملاؤه، القاهرة، مج4، ج25، ع3، ص2189. (مادة ش ب هـ).
9. ينظر: صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، مصر، ط1، 2003، ص72.
10. L'argumentation Du Discours A La Pensée –Georges Vignaux -p25.
11. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2002، ص20.
12. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط1، 2003، ص410.
13. الفنون النثرية في آثار البشير الإبراهيمي، إعداد: لبنى دلندة، إشراف: محمد منصور، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري الحديث، جامعة باتنة، 2015، 2016، ص295.
14. البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص21.
15. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج3، ص11.
16. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، لبنان، المكتبة العصرية، ط3، 2001، ص27.
17. محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، مكتبة دار الأمان، المغرب، ط1، 2005، ص457.
18. علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص150.

- ¹⁹ . عيد بلبع، التداولية: البعد الثالث في سيميوطيقا مورس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، مكتبة بلنسية، مصر، ط1، 2009، ص365.
- ²⁰ . البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص382.
- ²¹ . ابن منظور، لسان العرب، مج5، ج44، ع3، ص3044، مادة(ك ن ي).
- ²² . السكاكي، مفتاح العلوم، ص402.
- ²³ . زكية خليفة مسعود، الصورة الفنية في شعر بن معتر، منشورات جامعة فان يونس، بنغازي، ط1، 1999.
- ²⁴ . ، وجدان عبد الإله الصانغ، الصورة البيانية في شعر أبوريشة، دار مكتبة الحياة، ط1، 1997، ص74.
- ²⁵ . ينظر: مسعود بودوخة، الأسلوبية والبلاغة العربية، مقارنة جمالية، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط1، دت، ص158.
- ²⁶ . ، البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص45.
- ²⁷ . علي محمود حيي الصراف، الأفعال الإنجازية، ص164.
- ²⁸ . ينظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ج20، ص288، مادة (وراه).
- ²⁹ . أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، البديع في البديع في نقد الشعر، تح: علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1987، ص97.
- ³⁰ . محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها: تقرب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، العدد3، 2000، ص29.
- ³¹ . البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص21.
- ³² . البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص27.
- 8. قائمة المراجع:**
1. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج3.
2. أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، البديع في البديع في نقد الشعر، تح: علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1987.
3. زكية خليفة مسعود، الصورة الفنية في شعر بن معتر، منشورات جامعة فان يونس، بنغازي، ط1، 1999.
4. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، تونس، ط1، 2008.

5. صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن ، دار الكتاب الحديث، مصر، ط1، 2003. الكتاب الثالث.
6. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، لبنان، ط3، 2001.
7. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط1، 2003.
8. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2002.
9. علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010.
10. عيد بليغ، التداولية: البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، مكتبة بلنسية، مصر، ط1، 2009.
11. محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.
12. محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، مكتبة دار الأمان، المغرب، ط1، 2005.
13. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ج20.
14. محمد هشام وسعيد نجار، نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
15. مسعود بودوخة، الأسلوبية والبلاغة العربية، مقارنة جمالية، بيت الحكمة، ط1، سطيف، الجزائر،.
16. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مج4.

17. وجدان عبد الإله الصائغ، الصورة البيانية في شعر أبوريشة، دار مكتبة الحياة، ط1، 1997.

18. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم الزرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.

المراجع الأجنبية:

19- L'argumentation Du Discours A La Pensée –Georges Vignaux –France -

Edition Hatier-1999.

الرسائل والأطروحات:

20. لبنى دلندة، الفنون النثرية في آثار البشير الإبراهيمي، إشراف: محمد منصور، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري الحديث، جامعة باتنة، 2015. 2016.

المجلات:

21. محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها: تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، العدد3، 2000.